

الشهوة: أنواعها وخطورتها

** الشهوة هي أصل وبداية خطايا كثيرة. فالزنى يبدأ أولاً بشهوة الجسد. والسرققة تبدأ بشهوة الاقتناء أو شهوة المال. والكذب يبدأ بشهوة في تبرير الذات أو في تدبير شيء ما. والقتل يبدأ بشهوة الانتقام أو شهوة أخرى تدفع إليه.. فإن حارب إنسان شهواته الخاطئة وانتصر عليها، يكون قد انتصر على خطايا عديدة.

هنا وتحضرني عبارة عميقة في معناها، قالها مرة الاستاذ مكرم عبيد، وهي: افرحوا لا لشهوة نلتموها، بل لشهوة اذلتتموها.

** من أكثر العيوب أن يقال عن شخص ما إنه "شهوانى" أي أنه يقاد بواسطة شهواته، وليس بضميره أو عقله...

** والشهوة إن بدأت، لا تستريح حتى تكمل. وما دام الأمر هكذا، فالهروب منها أفضل. فلماذا تدخل معها في صراع أو في نقاش؟! إنك كلما أعطيتها مكاناً في ذهنك، أو تهاونت معها واتصلت بها، حينئذ تقوى عليك، وتتحول من مرحلة الإتصال، إلى الانفعال، إلى الإشتعال، إلى الإكتمال. وتجد نفسك قد سقطت...

فتتدرج من التفكير فيها إلى التعلق بها، إلى الانقياد لها، إلى التنفيذ، إلى التكرار، إلى الاستعباد لها. وقد يلجأ الشخص إلى طرق خاطئة لتحقيق شهواته: إلى الكذب أو الخداع أو الإحتيال. وربما إلى أكثر من هذا...

** وقد يظن البعض – إذا ما أرهقته أفكار شهوة ما – إنه إذا ما أكملها بالفعل، سيستريح من أفكارها الضاغطة!! كلا، فهذا خداع للنفس. فإن الشهوة لا يمكن أن تشبع... وكلما يمارس الإنسان الشهوة، يجد فيها لذة. واللذة تدعوه إلى إعادة الممارسة. والقصة لا تنتهى...

إن إشباع الشهوة لا ينقذ الإنسان منها، بل يزيداها...

إنسان مثلاً يشتهي المال. وكلما يجمع مالاً يشتهى إلى مال أكثر. وموظف طموح يشتهي الترقى. فكلما يصل إلى درجة يشتهي درجة أعلى. ويعيش طول عمره في جحيم الشهوات التي لا تنتهى، ولا يشبعه شيء...

وصدق سليمان الحكيم حينما قال: "العين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السمع. كل الأنهار تجرى إلى البحر، والبحر ليس بملآن..."

** فلا تظن إذن أن الإشباع ينقذك من الشهوة. لأنه لا ينقذك منها سوى ضبط النفس، والهروب. سواء الشهوة التي تأتيك من الحواس أو من الفكر والقلب، أو التي تأتيك من الغير...

وقد يعالج الإنسان شهوة رديئة، بأن يجعل شهوة مقدسة تحل محلها. فالجسد يشتهي ضد الروح، والروح تشتهي ضد الجسد. الجسد قد يشتهي الخطيئة، والروح تشتهي حياة البر والفضيلة. فإن اشبعت الروح فيما تشتهيها، حينئذ تنجو من شهوات الجسد...

** ما أجمل ما قاله أحد الروحيين عن التوبة، "إنها إستبدال شهوة بشهوة". فبدلاً من شهوة الخطيئة، تحل محلها شهوة الفضيلة والقرب إلى الله. وأيضاً شهوة الكرامة والعظمة والعلو، يمكن أن تعالجها شهوة الاتضاع. وشهوة الضجيج تحل محلها محبة الهدوء. وهكذا دواليك.

** من الأساطير التي تقال عن بوذا Buddha مؤسس الديانة البوذية: إنه جلس في يوم ما تحت شجرة المعرفة. فعرف أن كل الناس يبحثون عن السعادة، وأن الذي يريد السعادة عليه أن يتخلص من الشقاء. ووجد أن للشقاء سبب واحد، وهو وجود رغبة أو شهوة لم تتحقق. وهكذا علم الناس أن يبتعدوا عن الشهوات والرغبات لكي يعيشوا سعداء...

على أن تعليم بوذا هذا، غير ممكن عملياً. لأنه من المستحيل أن يعيش إنسان بدون أية رغبة أو شهوة. إنما الحل المعقول أن تكون له رغبات وشهوات غير ضارة، أو هي تتفق من وصايا الله...

** ذلك لأن هناك شهوات مؤذية ومدمرة. ولعل في أولها شهوة الشيطان في أن يدمر حياة البر مع جميع الأبرار... وأعوانه يفعلون مثله...

إن الذي يدمر المخدرات، إنما بشهوة الإدمان يدمر نفسه، وقد يؤدي غيره أيضاً. والذي يقع في شهوة الخمر والمسكر، بلا شك يدمر معنوياته وكرامته. والذي تسيطر عليه شهوة الزنى، يدمر عفته وأخلاقياته، ويدمر أيضاً من يشاركه في الخطيئة أو من يكون فريسة له...

وشهوة الحقد أيضاً شهوة مدمرة، وكذلك شهوة الانتقام. وجميع الشهوات التي يقع فيها البشر، تدمرهم خلقياً واجتماعياً. وإن لم يحسوا هذا التدمير على الأرض، فإن شهواتهم ستدمر مصيرهم الأبدى.

** إن الشيطان حينما يقدم للإنسان شهوة تشبعه، فإنه لا يفعل ذلك مجاناً أو بدون مقابل!!

إنما في مقابل تلك الشهوة، يسلب روحياته منه، ويسلب إرادته، ويضيع مستقبله في الأرض والسماء. لذلك علينا أن نهرب من شهواته ومن إغراءاته، واضعين في أذهاننا نتائجها وأضرارها.

** والشهوات التي بها يضر الإنسان غيره، عليه أن يضع أمامه احترام حقوق الغير، وسمعته، وعفته. ويقول لنفسه: واجبي هو أن أنفع غيري. فإن لم أقدر على منفعة، فعلى الأقل لا أضره...

أما الشهوات التي يضر بها نفسه، فعليه أن يتمسك بكل القيم والمثاليات ، شاعرًا أن الخضوع لأية شهوة إنما هو ضعف لا يليق بمن يحترم شخصيته، ويرتفع بها عن مستوى الدنيا.

** والشهوات الخاطئة ليس من نتائجها فقط أن يضر الإنسان نفسه، أو أن يضره غيره، إنما هي أيضًا تفصل الشخص عن الحياة مع الله، وتدفعه إلى كسر وصاياه. وهذا أمر خطير...

لذلك نصيحتي لك: اسلك ايجابيًا في حياة النزاهة والعفة. عالمًا أن الإيجابيات تنجيك من السلبيات. وأيضًا اعرف ماهي المصادر التي تجلب لك الشهوة بكافة أنواعها، وتجنبها... فهذا أصلح بكثير من ترك الباب مفتوحًا فتدخل منه الشهوة، ثم تقاومها.